ذاكـــرة مـــدينـــة: كـتـب وروايـــات وأرصفـــة

شاكر الأنباري

هنـاك شـوارع دخلت في الـذاكـرة الجـمعيـة للشعوب، وأصبحت خالدة، رغم ما أصابها من تحولات، كاندثار معالمها او زوالها المادي، كون تلك الشوارع ارتبطت بأحداث سياسية وثقافية واجتماعية، وبحركات وتجمعات وأحزاب ووقائع تاريخية فاصلة. فقد تربت أجيال في كنف تلك الشوارع، وقضت فترات خصوبتها الفكرية ضمن أجوائها. اغلب عواصم العالم لديها شوارع خالدة، وخلود شارع ما له مواصفات بعينها، أبرزها على الأغلب تعدد وجوه ذلك الشارع، وبالتالي تعدد قراءة تلك الوجوه على مر الأحقاب والأزمان. وشارع خليل باشا، في وسط بغداد، الذي سمي لاحقا شارع الرشيد واحد من تلك الشوارع المتعددة الوجوه، إذ كان أشبه بشريان حيوي ورئيسي لبغداد، منذ بدايات القرن العشرين حين أسسه الوالي العثماني خليل باشا، وكان يطلق عليه "جاده سي". لم يعرف البغداديون آنذاك، شارعاً بهذه الضخامة، خاصة حين بني من جديد على النمط الانكليزي، بعد خروج العثمانيين ودخول العراق فترة الاحتلال في الحرب العالمية الأولى. تجسدت اللمسة الانكليزية بالأعمدة الضخمة الممتدة من بداية الشارع، أي منطقة الميدان وسط بغداد، وحتى نهايته، عند ساحة التحرير. فكان رصيفا الشارع ينفتحان أمام المحلات برحابة، ليسير المتبضع أو السائح أو المتسكع في رواقين طويلين يتلويان ويفسحان المدى لتأمل واجهات المحلات وأهم الساحات والمقاهي، وبوابات الأسواق المنفتحة على الشارع. هناك أكثر من عشرين سوقاً ومحلة تجارية تصب في شارع الرشيد، أيام عزه. وقد عبرت حالة شارع الرشيد عن حالة بغداد عموماً، ازدهاره بازدهارها، وبؤسه من بؤسها، ولذلك يمكن قراءة الحالة الاجتماعية والسياسية والفكرية لبغداد، قل العراق عموماً، عبر قراءة شخصية هذا الشارع العملاق، الذي صبت فيه أحداث، وذكريات، وقصص غزل وعشق ومؤامرات، وكان حاضراً حتى في بعض الروايات العراقية التي كتبت في أزمان ماضية.

ولعل الحادثة الأبرز التي يذكرها العراقيون عن شارع الرشيد هي محاولة اغتيال الزعيم عبد الكريم قاسم، واشترك فيها آنذاك الشاب الأسمر القادم من تكريت، الذي تسلم رئاسة العراق بعد أقل من عشرين سنة، والمعتقل حالياً في زنزانته الانفرادية: إنه صدام حسين. لحظة جرت في أوج صعود اليسار الى السلطة في العراق وشهدت صراعات دامية بين الأحزاب ومنها حزب البعث الذي كان صدام حسين عضواً فيه في عام ١٩٦١، وقد جسدت هذه الحادثة بفيلم أنتج في الثمانينيات وسمي "الأيام الطويلة"، وقد كتب قصة الفيلم الشاعر الراحل عبد الأمير معلة. كان قائد المحاولة عبد الوهاب الغريري، وكرمه حزب البعث بتسمية الساحة التي جرى فيها الاغتيال باسم ساحة الغريري. من مفارقات اليوم ان الساحة التي جرت فيها محاولة الاغتيال سميت اليوم بساحة عبد الكريم قاسم، وينتصب وسطها تمثال سامق للزعيم دفع تكاليفه تجار بغداد في عهدها الجديد اعتزازاً بالزعيم. وتلك من مفارقات تحولات شارع الرشيد طوال مئة سنة تقريباً.

الشارع ذاته شهد مظاهرات حافلة، منذ الأربعينيات مروراً بالخمسينيات والستينيات، وكانت الجموع تخرج من المقاهي المنتشرة حوله وتنضم الى سيل البشر، المتفجر بالغضب، سواء تضامنا مع ثورة الجزائر أو فلسطين، أو مطالبة برحيل الانكليز عن البلاد. أيامها كانت المقاهي ملاذ العراقيين حين لم يكن للتلفزيون كبير أهمية في حياة البشر، وظلت لعقود مدارس للثقافات والأفكار والحركات السياسية. لم يفت أي من مشاهير العراق، سواء كانوا سياسيين أو مثقفين او مفكرين، الجلوس، ولو مرة واحدة، في مقاهي شارع الرشيد، وكان أشهرهم الباشا نوري السعيد، ثم الجواهري والرصافي وعلي الوردي وصدام حسين وناجي طالب وهاني الفكيكي، ولاحقاً الأدباء والفنانون المعروفون: بدر شاكر السياب وسعدي يوسف والبياتي وعبد الأمير الحصيري وحسين مردان وجبرا ابراهيم جبرا وفائق حسن ويوسف العاني وغائب طعمة فرمان، وغيرهم الكثير الكثير من الأجيال الشابة التي وجدت في شارع الرشيد معهداً لرؤية الواقع، ودراسة آخر النظريات، وسماع آخر القصائد.

ومن أشهر المقاهي في الرشيد مقهى أم كلثوم، وهو دهليز طويل معتم مدخن، تخصص منذ افتتاحه في الخمسينيات باسطوانات أم كلثوم فقط، وقد يجد فيه المرء العاشق الولهان الذي فارقته الحبيبة، والرجل الذي تركته زوجته، والشاعر الخدر من غيوم الخمرة، والسياسي الآتي لتذكر أيامه الزاهيات، والتاجر المستمتع بدر ماله في الأسواق القريبة مثل سوق الشورجة والهرج والغزل والصفافير والبهارات والمتنبي، وكلها أسواق شكلت اجنحة لهذا الشارع، كان يطير فيها عبر سماوات بغداد، والعراق، والعالم العربي، والعالم، بعد ان وصلت شهرة مصوغاته وترانيم أعواده ورائحة بهاراته وجمال آنيته المشغولة يدوياً، الى كل مكان من الأرض.

اجتمع في مقهى الزهاوي ذات يوم كبار رجالات الفكر والشعر الكلاسيكي، وقبل ان يسمى باسمه كان الزهاوي والجواهري والرصافي من رواد هذا المقهى. ومن الرواد أيضاً واحد من أكبر تراثيي بغداد المغبوني الشهرة، ألا وهو الكاتب محمود العبطة المحامي، الذي كان يعرف حارات بغداد حارة حارة، ومراقدها مرقداً مرقداً، اعتاد ان ينشر ما عرفه، وحفظه من تقاليد البغداديين وطرائفهم في كتيبات صغيرة، ينشرها على نفقته الخاصة ويوزعها على أصدقائه وطلابه من الأجيال الشابة التي لم تحفر عميقاً في طبقات هذه العاصمة العلاقة ذات الأزمان الدائرية، والأحداث التي تكرر نفسها، قرناً بعد قرن. ومنذ الستينيات، والسبعينيات، ظل مقهى البرلمان برلماناً حقيقياً للحركات الثقافية المتمردة، في الشعر والقصة والرواية، وفيها كتب أول بيان تحديثي للشعر من قبل فاضل العزاوي وسامي مهدي وفوزي كريم وغيرهم ممن كانوا رموزاً لجيل الستينيات. وكان الأدباء من مدن العراق ما ان يحطوا رحالهم في بغداد حتى يجيئوا الى البرلمان لمعرفة الأشخاص الذين قرأوا لهم ولم يتعرفوا عليهم. ذاك زمن كان يمكن لشخص ان ينشر قصة في الآداب البيروتية ويصبح علماً في الكتابة. ورواد هذا المقهى عادة ما يدخلون أو يخرجون وهم يتأبطون كتبهم في الفلسفة والشعر والفن، وسط اعجاب الجميلات اللواتي يمرقن في الشارع، وهن يرتدين آخر الموديلات. موضة أوروبا كانت تصل الى شارع النهر وهو تابع للرشيد بعد اقل من شهر: عرف البغداديون الميني جوب والماكسي جوب ثم الميكرو جوب قبل ثورة الطلاب في باريس. وتلك اردية للنساء في أوج التحرر.

مقهى "البرازيلية" يقدم القهوة ووجبات السياسة، ومقهى حسن عجمي يغص بالشعراء المفلسين، وعند كل ظهيرة في حر بغداد، تبدأ قوافل الأدباء، تسير نشطة الخطى الى البارات والمطاعم التي تقرفص على ضفاف دجلة، وتقدم العرق العراقي الحريف الطعم، المستقطر من التمر، والبيرة والمقبلات، ليس بعيداً عن جبهة النهر.

في البارات ينطلق الغناء الجنوبي القادم من أهوار العمارة وبساتين البصرة وصحارى الجزيرة، ليسهم في رسم التراجيديا العراقية التي اختطها جلجامش منذ آلاف السنين، أثناء خروجه الاستعراضي الذي أورثه لأحفاده، للبحث عن الخلود. هذا الحزن يرسم لوحة قاتمة وشفافة في الوقت ذاته لتاريخ بغداد المهتز والمطرز بالأحمر، التاريخ الفظ والشاعري في الآن ذاته. وفي تلك البارات المعتمة، الملوثة بالدخان وأنين السكارى، كتب فؤاد التكرلي رائعته عن بغداد وسماها "الرجع البعيد". شخصيات الرواية استلهمها الكاتب من المحلات المحيطة بشارع الرشيد كالفضل والبتاويين وعقد الأكراد والحيدرخانة وباب الشيخ. وبين ذراعي الشارع، وفي ليل الحانات وأبخرة الشط، تعرفت الأجيال على الرومانسية والواقعية الاشتراكية والتكعيبية والامبريالية والمثقف العضوي والواقعية التي بلا ضفاف والسوريالية وعبث كامو ولا جدوى صاموئيل بيكيت وميشيل عفلق وجيفارا وتروتسكي ولينين وغوركي وجون ريد وسارتر، الذي تلقفته الثقافة العراقية كما لو كان مولوداً في محلة الطوبجي. عن تلك الأجواء كتب روائي شاب (علي بدر)، بعد عشرات السنين، رواية سماها بابا سارتر عن تأثير الوجودية على مثقفي العراق ومسخ الهويات الذي يتعرض له مثقف العالم الثالث.

وعلى الجانب الآخر من الثقافة كان الشباب المراهق والباحث عن جمال البغداديات يميل من شارع الرشيد يميناً نحو دجلة، حيث يمتد شارع النهر، في العصاري والغروب ليستمتع بوجوه ذوات خالات وعطور وبخور وأرداف وأجياد. فشارع النهر ظل حتى الحرب الأخيرة منتجعاً للمتبضعات، ومكاناً تصل بضاعته النسائية من أشهر محلات أوروبا: أحذية وأطواق وألبسة حريرية وعقود وحلق وشالات وعباءات سود مطرزة، اشتهرت العراقيات بلبسها والتفنن باشاراتها. كان أيضاً محلاً لاصطياد المتعة، ورصد بائعات الهوى، عبر اكتظاظه بالنساء والرجال، فهنا النخبة والحضارة، وهنا تسفر بغداد عن وجه التاجرة والغانية وصائدة الرجال والفنانة في عرض نقوشها وابداعات أياديها ذوات الخبرة التي جاءت من قرون خلت، ايام كانت بغداد ربة البيت للعصر العباسي برمته، وقيل ان الفراهيدي اخترع بحوره الشعرية حين كان يتجول في سوق الصفارين. وهو واحد من اجنحة شارع الرشيد. فحين كان الشغيل يطرق الصفر والنحاس والفضة، لتحويلها بمطرقته الصغيرة الى نفائس بتوقيع منتظم، ادرك سر التفاعيل والايقاعات في الشعر الذي جاءه من صحراء العرب، عبر المعلقات ونفائس القصائد، فوضع أوزانه المعروفة. وقيل ان متصوفة بغداد كانوا يجيئون الى سوق الصفارين ليجدوا الصفاء في تراتيل المغنين وضاربي الحديد، أي عبر موسيقى الشعوب. من هنا طارت رسوم اهل الحرفة الى المشرق والمغرب، فملأت أسواق اسطنبول ولندن وطهران. وتخرج في حرارة المنافيخ معلمون نقشوا وزججوا وزوقوا ليبدعوا أباريق ومزهريات وحوامل قرائين وصينيات وقدور وسيوف وحراب وملاعق وقوارير، بلغت الكمال في الفن والجودة.

ومن واجهات البيوت والمشربيات والشناشيل والأقواس والألوان، استطاع جيل من الرسامين العراقيين ان يزاوجوا بين المدارس الأوروبية في الفن والبيئة المشرقية، فتكونت هوية واضحة لجواد سليم وشاكر حسن آل سعيد وخالد الرحال وفائق حسن وضياء العزاوي وفيصل لعيبي وجبر علوان، وسواهم من رموز الحداثة اللونية. تأمل الجواهري في كل ذلك، وكتب رائعته من منفاه البراغي قائلا: "حييت سفحك عن بعد فحييني/ يادجلة الخير يا أم البساتين". ومن بعيد عاش هادي العلوي في أزقة بغداد الرشيد، واستمع الى مطارقها وكتب كتابه عن المتصوفة، الحلاج والجنيد وعبد القادر الجيلي، دون ان ينسى اصوله الاشتراكية التي نبتت لديه في ستينيات شارع الرشيد، ومعاركه الفكرية والسياسية والأدبية. وكان الشاعر العبثي عبد الأمير الحصيري، الذي مات من جفاء شارع الرشيد، وتوج في السبعينيات صعلوكه الأوحد بحق، يفطر في سوق الهرج، ويتغدى في شارع المتنبي، وينام مخمورا فاقد الوعي عند اعمدة البوابة التي تقود الى سوق البهارات. كان يملأ سطلا بالعرق العراقي، ويضيف إليه ربع قالب من الثلج، ويغترف شربه بطاسة، وينشد للجواهري والمتنبي، وهكذا منذ الصباح وحتى المساء، فكان مدرسة في الصعلكة التي انتجت بعد ذلك حسين مردان وجان دمو وعقيل علي وعشرات عشرات، سقفهم شارع الرشيد ومتكأ رؤوسهم اعمدته الاسمنتية الغليظة. كتبت في هذه الأماكن مئات القصائد، ورسمت آلاف اللوحات، في مراسم وشقق كانت مشمورة في أعلى الشارع، وكثيراً ما طفت أصوات حوارات المثقفين والرسامين على ليالي الشارع وعسسه وقططه ومشرديه، وكأن الثقافة ابنة القاع، تغوص فيه لتنتشل جواهره التي هي عبارة عن حكايات وقصص ووجوه ولقطات روائية وأبيات.

كانت هناك تقاليد في كل شيء، في الثقافة والفن والغزل والسياسة. جاءت الضربة القاضية من حروب وهجرات ومطاردات ومنظمات سرية دست انفها في تلافيف كل محلة وزقاق وبيت، في كل قصيدة ومقالة وكتاب، وانتشرت في شارع الرشيد وجوه غريبة تترصد وتتسمع الحوارات، تبطش وتقتل فجأة ثم تغوص وسط الحشود دون ان تترك اثرا. انتشر في ذاكرة المكان سرطان راح يفتك بخلايا حية في الشارع. تلوثت المقاهي بالمخبرين، وترصدت عيون سرية شقق الأدباء والفنانين ومراسمهم. وبدلا من المدارس الفنية والكتب والموديلات والصرعات بدأت الأسواق والحارات تستقبل الجثث والخطب الجوفاء والسلاح والملابس المرقطة.

الحكاية يرويها سوق البهارات، فهو ولعشرات السنين ينث روائحه على رواد الشارع. قرفة وكاري وفلفل ودارسين وكمون وحب محلب وبخور وبطم. يانسون وحنة ونومي بصرة. تجاره اغلبهم من أصول فارسية جاءوا منذ بدايات القرن العشرين وكونوا لهم امبراطوريات تجارية تهيمن على الشورجة والهرج والصفافير والغزل والصاغة. في لحظة تطرف قومي صدرت قرارات بترحيلهم الى ايران، وجردوا من كل ممتلكاتهم والقوا على الحدود. بغداد ينبغي ان تظل عربية قحة، كما نصت القرارات. وكأن البرامكة لم يفرقعوا الفارسية في أزقتها ذات مرة، ولا هاتف ابن هاني أمواج دجلة في لحظة سكر، أو لم يمش ابن سينا في محلة الرفائين، متأملاً في معضلات الكون الفلسفية.

وإذا كان لكل مكان قاعه، فيمكن القول ان سوق الهرج هو قاع شارع الرشيد، وهو لا يبعد كثيراً عن القلعة، أو السرايا التي كانت مقرا للولاة العثمانيين الذين حكموا ولاية بغداد، وأشهرهم مدحت باشا الذي اسس جريدة ومطبعة الزوراء، وهي أول جريدة في العراق الحديث، وداوود باشا الذي خلده القاص محمد خضير في واحدة من أهم قصصه عن رسام العراق الأول عبد القادر الرسام. جاءت تسميته من اللغط الكثير والأصوات العالية المتعالية من باعته وزبائنه، وهم ينادون على بضاعتهم، وهي بضاعة لا تخطر على بال، فيمكن شراء كل شيء مهما تفه من سوق الهرج: خرزة لمسبحة مثلاً، أو زراً لبنطلون، أو فردة حذاء واحدة، ثم اكوام لا يجمعها جامع من الأشياء المهملة كبطاريات راديو وشاشات تلفزيون ولوحة زيتية رخيصة وأنبوب مياه مهترئ وبراغ ومرايا تراثية وشاشة كومبيوتر وعباءات نسائية. والداخل الى السوق يعجب من سقط المتاع هذا الذي تجمع في هذه البقعة المتكونة من شارع وأزقة وزوايا ودكاكين وعربات متنقلة وبسطات، وكأن هذا السوق يختصر شارع الرشيد برمته.

عاش شارع الرشيد حروباً غامضة، بيع سريع لممتلكات، إغلاق محلات، دوريات مباغتة، وغاب الأمان من العطفات والبيوت العريقة، ودب الذعر بين البيوت والعطفات حتى وصل الى اشجار شارع النهر، وأعمدة الرشيد والمتحف البغدادي وخانات السنك وبارات ساحة الميدان. صار شارع الرشيد يكتنز ذاكرة أخرى، ذاكرة حروب وهجرات واغتيالات وتطرف في الفكر والنظر. لقد اغلق الجميع افواههم، وكثرت التفاتات الناس أثناء الحديث، وتدفقت عمالة غير عراقية الى المربعة والميدان وسوق السراي والبهارات والمقاهي والمطاعم. غصت الفنادق بالوافدين وأرسل أبناء البلد الى الموت في قصر شيرين والمحمرة والأهواز، ولاحقا الى الكويت وتخوم السعودية وجبال كردستان وصحارى الرمادي. وراحت شخصية الشارع تتخلخل، وتتضعضع، وتتآكل. قليلا قليلا بدأت الأصولية الدينية تتغلغل في مفاهيم الشارع وطقوسه. أغلقت البارات وحوصرت النساء في البيوت، اثر قانون الدعارة الشهير الذي يبيح قتل المرأة من قبل أقربائها، وهاجر أدباء وفنانون ومعلمو مهن واختصاصيون، وانتشرت أخلاقيات بدوية وفظاظات سلطوية، ثم وضعت الحياة في علبة. وكانت هناك حروب وحصارات وتغيرات كبرى، فكان ان تحولت الساحات الى مزابل، والمقاهي الى دكاكين لبيع الأحذية، والبارات الى محلات للاجهزة الكهربائية. سابت القطط في الزوايا وهامت الكلاب باحثة عن فطيسة أو عظام. منع الناس من السهر على ضفاف دجلة، فلم تعد الشواطئ تحيي أحدا: لا مقيما ولا راحلاً. وبدلا من قوارب الأعراس والسفرات النهرية وصيادي اسماك الشبوط والبني والزبيدي، جالت ليلا قوارب مسلحة تراقب الأجمات والأشجار والأرصفة والصيادين. وبدأت الأسماك تتغذى على نفايات المجارير، وبقايا الجثث، والمحاليل الكيمياوية التي تضخ من مدينة الطب، عند باب المعظم. شارع الرشيد هو بغداد، وهو العراق في لحظته الراهنة. مهجور وغير مهجور، مندثر وشاخص، واجهات براقة وخرائب، حرائر وبائعات هوى. تمرق فيه بين الحين والآخر سيارات شرطة وجيش، مثلما يصبح ممراً لدبابات ومدرعات أميركية توجه أسلحتها الى الناس. وذات مرة انفجرت سيارة مفخخة تحت قدمي تمثال الرصافي المتطلع الى الكرخ.

شارع يؤوب اليه عشاقه القدامى كلما ضغطت عليهم الذاكرة، ولكنه لم يعد يمتلك تلك الحميمية السابقة. أصبح مكاناً غير مأمون ما ان تتعدى الساعة السابعة مساء. هناك اعمدته الغليظة تنتصب بشموخ، وهناك صدى لنداءات شارع النهر وسوق البهارات والصفافير والشورجة، وتمثال الزعيم عبد الكريم قاسم المنتصب حديثا في الساحة. الا ان ليله موحش، وأزقته مقفرة، وكأن الجميع اتفقوا على ان شارع الرشيد الذي عرفوه قد رحل. رحل الى الأبد، مثلما رحلت كثير من الذكريات والطقوس والبديهيات في عراق اليوم. العراق الذي عبر بحرين من حروب، وبحرين من دماء، وبحرين من سيوف ودبابات وطائرات، وهو مثل الشارع لما يزل يصارع الزمن للوقوف على قدميه مرة أخرى.

جاك لاكان: التحليل النفسي بلا قواعد!!؟

خضير ميري

يعرف جاك لاكان، الجنون، في واحدة من توصلاته وكشوفاته المتأخرة بالصيغة التالية: "ذلك أن المجنون هو الذي يقول بالأحرى، بأنه "آخر" غير ذاته". ولأن لاكان يتمتع بفكر تفصيلي، مكثر بالفواصل والاستطرادات مقلل من طغيان العلمية الزائدة عن الحد لصالح "الميكروفيزيائية" والعيانات والكشف السريري / اللساني فإننا لا نتوقع منه تبسيطات أسلوبية كفاية ولا حتى ملخصات أو جاهزية أو ما يسمى بـ(الدليل الإيضاحي). ولا بأس بالقبول بـ(الكل) ونحن نوسع الخطى باتجاه "بنيوية" خاصة بـ(التحليل النفسي) ترغب بالصبر الطويل والتحليل المضاعف والقراءة المستعادة.

من زاوية النظر إلى الجنون في التحليل النفسي لا يخفي "جاك لاكان" الجوانب المعرفية من هذه الإشكالية والتي يمهد لها عبر دراسته للوظيفة الرمزية للأنا والتي سبق له أن عرضها في مباحثه الخاصة بطور (المرآة) وهي المرحلة التي تطرح فيها الذات الإنسانية وتتخارج وتكتشف صلادتها وأشغالها حيزاً في (المكان والزمان والآخر).. مرحلة إعادة النظر بالموجود وحدوده وثقله الجسدي، التطلع إلى المرآة في المرحلة الطفلية وحدوث آليات ما يسميه لاكان بـ (التجبير) أو (التشكيل) الصوري، إعادة استيعاب الذات بواسطة النظر من خلال المرآة أو من خلال (الآخر).

وسيكون ذلك مفيداً في عرض "الجنون" وتذليل بعض من إشكالياته، خاصة من الجانب الوظيفي الذي يخوض فيه لاكان في الموضوع نفسه الذي يتحرك فيه كلود ليفي ستراوس في (الانثروبولوجيا البنائية).

حيث يقيم ستراوس موقعاً أكبر للرموز في الثقافة وأن العلاقات الرمزية تقدم الممارسة الأولى لفعل الخيالي في النسق الثقافي، ولا يفعل لاكان أكثر من "فردنة" هذه الرموز والاستدلال عليها في اللاشعور. هناك مرحلة ترميز عالية في تاريخ –حياة الفرد، ستكون لعبة الحضور والغياب الكيان والموت هما عناصرها الأساسية. إن الخيالي يقلل من عمل الواقعي المسرف في واقعيته، ولو ترك الإنسان للواقع وحده لمات قبل أن يحيا!!

يعبر لاكان عن وحدة (اللا شعور والموت) من حيث الأصل، يترك الفرد حياته للفراغ، أنه يرفض التخارج عن (الكهف المثالي)، أي الرحم، ثم يحاول أن يطيل ما أمكن فترة الطفولة وهي المرحلة القائمة على الجهل بالعالم ومرحلة العطالة المدللة، إلا أن بداية (الاستلاب) هي بداية (التعلم) ويكون عبر الوظيفة الترميزية إمكانية تقليل صدمة اللا معقولية في هذا العالم. وبقليل من الشعر وبالكثير من اللغة يصبح الوجود ممكناً!

إلا أن آليات التجبير وسيرورات الخداع الذاتي تتطلب عناصر استهلاك يومي من أجل الحصول على ذات متماسكة ومكررة ما يؤهلها لأن تكون ذاتاً عاقلة وسوية وقابلة للوجود والتكاثر، وهنا يصبح الرمز مدخلاً "للنسيان الضروري" وهذا وجه آخر لأفكار نيتشه عن (الأوهام الشرعية) تلك الأوهام التي نحارب من خلالها كل ما هو غرائزي وأصيل لمصلحة ما هو أخلاقي وزائف!! فيكون "الرمزي" و"الخيالي" بديلاً مقنعاً للواقعي والحقيقي.

إن الإنسان هو وفقاً للتحليل النفسي اللاكاني، مقلوب ضد ذاته ملتبس ومشتت بين العوامل المستلبة منه والمعدلة فيه وبين الارتداد الطبيعي للذات القبل –ثقافية. ذلك أن الوجود الإنساني لا يشبع كثيراً من فوضى غرائزه ومن ميوله الطفلية –البربرية (أن تاريخ الجريمة يثبت أن المجرم هو عبارة عن طفل محروم من اللعب الجاد) وأن الميول المنحرفة للكثير من الناس هي تنفيس عن رغبات، قديمة، محبطة.

كما أن المرحلة "البين –ذاتية" لا تفرق من الناحية الطبيعية بين (الذكوري والأنثوي) في تكوين الشخصية الإنسانية المزدوجة في مكوناتها الأولي ولكن الثقافي هو العنصر الأكثر تحيزاً في الفصل الجنسي بين الكائنات.

يبدو أن خلل تعاطي (الثقافي) وما يفعله (الأخلاقي) من ضغوطات عالية ومن حراسات (فوق –طبيعية) يجعل الذات، حريصة، على تعطيل فاعليتها العقلانية لصالح ما هو رمزي أو خيالي أو جنوني في غالب الأحيان!

سوف يذهب "لاكان" بعيداً إلى درجة عدم القبول بالمرض النفسي (كما هو) أي مجرد حالة مرضية تقع لشخص ما ويتم عرضه على وجهة نظر العيادة الطبية، بل سيكون المرض هو (نص مكتوب بأسلوب العيش وما على المحلل النفسي سوى أن يكون قارئاً جيداً لهذا النص (المعقد)! المرض هو الحامل اللغوي لطلاسم العلاقة المعقدة بين الكائن وذاته.

لا يمكن إيجاد قواعد كافية في نظريات لاكان قابلة للتطبيق خارج أسلوبه الشخصي على عكس فرويد وإلى حد ما يونغ، فإن لاكان يقرأ التحليل النفسي بالوقت الذي يكتبه وسوف يعرض سمعته إلى الخطر عندما يصبح تطبيقه السريري نوعاً من اللعب ومن التقصي خارج القواعد العلمية والذهاب إلى حد الكلام بلا أدلة كافية أو مرجعيات علمية مساندة مع أن هذه مآخذ أن الكثير من نقاد لاكان، يعجبهم ما يقوم به من تنوع معرفي واكتشافات سابقة له، بمعنى أنه كان مولعاً بالقراءة النفسية بحد ذاتها، أكثر مما هو معنياً بالعلاج النفسي. من الناحية الطبية يعد هذا مأخذاً إلا أنه كسب مهم من الناحية المعرفية والنظرية من نظرات تحليلية استطاعت تفجير إشكاليات معرفية كافية حول الكيان النفسي للإنسان بقدر ما فعله لاكان، على صعيد زعزعة (الكوجيتو) المركزية للخطاب النفسي الكلاسيكي الذي كان يرغب بالحديث عن (الوحدة) النفسية أو القاعدة السوية التي سنحدد على ضوئها ما عداها من الحالات المرضية.. بينما، يهرع لاكان إلى تفكيك هذه الوحدة المصطنعة التي وضعها التحليل النفسي التقليدي من أجل راحته هو لا من أجل دراسة وكشف مركبات المرض النفسي ونصوصه الثرية.

كان جاك لاكان درساً منفلتاً في التحليل النفسي بالرغم من أهماله المقصود والاعتراض عليه في المحافل الدولية للتحليل النفسي، إلا ان الدروس العظيمة تدرك غالباً بعد فوات الآوان.

من المكتبة العراقية

جائزة جنوب السويد لعدنان الصائغ

الشاعر العراقي عدنان الصائغ المقيم حالياً في لندن حصل مؤخراً على الجائزة السنوية لعام ٢٠٠٥ من اتحاد الكتاب السويديين –فرع الجنوب، وكان الصائغ مقيماً في السويد في سنوات ٩٧-٢٠٠٤ .

وقد شارك الصائغ خلال إقامته هناك، في العديد من المهرجات الشعرية والأنشطة الثقافية، في عموم السويد وخارجها، منها: مهرجان "أيام الشعر العالمية في مالمو" ١٩٩٧، مهرجان تينستا الشعري في ستوكهولم ٢٠٠١، مهرجان الشعر العالمي في روتردام ١٩٩٧، الأسبوع الثقافي العربي الدنماركي في كوبنهاكن ٢٠٠٠، يوم الكتاب العالمي في النرويج ٢٠٠١، بيت الشعر في الأردن ٢٠٠٢، مكتبة الاسكندرية ٢٠٠٣، وأمسيات أخرى في برلين، لندن، عمان، بغداد، قطر، الكويت، دمشق، بيرمنكهام، دنهاخ، وآخرها مهرجان الشعر العالمي في كولومبيا ٢٠٠٥ . كما أصدر أيضا العديد من الأعمال الشعرية، منها: "صراخ بحجم وطن" ١٩٩٨، الكتابة بالأظافر ٢٠٠٠ (باللغة السويدية)، تأبط منفى ٢٠٠١، والأعمال الشعرية (عن المؤسسة العربية في بيروت ٢٠٠٤).

وكان الصائغ قد حصل عام ١٩٩٦ على جائز هيلمان هاميت -HELL MAN HAMMETT العالمية للإبداع وحرية التعبير، في نيويورك. وجائزة مهرجان الشعر العالمي POETRY INTERNATIONAL REWARD في روتردام، عام ١٩٩٧ .

سعد هادي في ليلى والقرد

القاص والناقد التشكيلي المعروف سعد هادي صدرت له مؤخراً عن دار نينوى في دمشق روايته الجديدة (ليلى والقرد) وهو يعد العدة لإصدار روايته التالية (تجريد شرقي).

في (ليلى والقرد) مغامرة شبان عراقيين يضيعون في متاهات الغربة بين روما وطنجة حيث الجنس واللا أمل ومحاولة تأكيد الشخصية في سديم عالم من العنف والضياع والحب والعاطفة معاً، الراوي وهو البطل أيضاً ينقل تفاصيل مغامرة موسى المرعبة في الحياة والموت ويضيع معه وسط عالم مغامر يستحق القراءة والتأمل، ففي (ليلى والقرد) مغامرة كتابة درامية محسوبة ودقيقة تعطي لمبدعها، سعد هادي، شأناً جديداً مؤثراً في عالم الرواية العراقية.

من أعمدة الأدب الحديث

وولف -جينيه- أورويل -كونراد

صدر للأستاذ خضير اللامي كتابه الجديد (من أعمدة الأدب الحديث) عن سلسلة الموسوعة الثقافية وهو مجموعة مقالات مترجمة تعد إسهاماً في الحفر في إبداع أربعة من الكتاب هم جورج أورويل وجان جينيه وفرجينيا وولف وجوزيف كونراد كتبوا قسماً منها بأقلامهم (مثل وولف) وجاء بعض منها بأقلام نقاد حيث كتبت جانيت سوفونا عن أعمال جينيه المسرحية وكتب ك:. أوبرين عن رؤية أورويل للعالم وكتب نيوهاوس عن دافع الكتابة لدى كونراد. فيما ترجم اللامي محاضرة وولف عن (السيد بينيت والسيدة براون).